المحاضرة الثانية : البحوث التجريبية (بحوث العلاقات السببية)

تعد من أهم البحوث العلمية القريبة من الدقة و الموضوعية، وهي بحوث تمثل مرحلة النضوج العلمي لأن الباحث لا يكتفي فيها باستكشاف الظاهرة أو وصفها يذهب الى أبعد من ذلك لدراسة العوامل التي أوجدتها على الشكل الذي عليه .

فالبحوث التجريبية تعتمد بالدرجة الأولى على القيام بالتجربة مع استخدام أداة الملاحظة، فهذه البحوث تعتمد الملاحظة وتحتكم التجربة في تأكيد أو إثبات أي قانون أو فكرة، ويتيح إمكانيات التأكد من نتائج البحث من خلال إعادة التجربة أكثر من مرة، وتسمى بأبحاث **العلاقات السببية** لأنه يقوم هذا النوع من البحوث على اختبار علاقات التأثير والتأثر بين متغيرات الظاهرة الواحدة أو الظواهر المختلفة .

يعتمد في البحوث التجريبية المنهج التجريبي، كما هو واضح من التسمية، أساسا على التجارب باختبار العلاقات بين متغيرات الظاهرة الواحدة، في هذا المجال يقول**موريس أنجرس** :" يهدف المنهج التجريبي إلى إقامة العلاقة التي تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر أو المتغيرات، ولإقامة العلاقة بين السبب والنتيجة فإننا نقوم بإجراء التجربة التي يتم خلالها معالجة متغير أو أكثر بتغيير محتواه عدة مرات، ويسمى هذا المتغير بالمتغير المستقل، هذه العملية تسمح بدراسة آثار المتغير المستقل في المتغير الذي يتلقى تأثيره والمسمى بالمتغير التابع "[1].

1. مفهوم المنهج التجريبي:

يعرف المنهج على أنه: الطريقة العلمية الصحيحة والموضوعية واليقينية في البحث عن الحقيقة واكتشافها وتفسيرها والتنبؤ بها وضبطها والتحكم فيها.[2]

---

[1]– موريس أنجرس: منهجية البحث في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، ترجمة ، بوزيد صحراوي وآخرون،ط2، دار قصبة للنشر، الجزائر ، ص 102

[2]– عمار عوابدي: مناهج البحث العلمي وتطبيقاته في ميدان العلوم القانونية والإدارية، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 199.

كما يعرف على أنه: الطريقة لحل المشكلات بأسلوب علمي، عن طريق التحكم في جميع المتغيرات والمؤشرات، ووضعهم تحت التجربة، وعزل إحدى المتغيرات بهدف تحديد وضبط وقياس تأثيره في العملية.[1]

ويعرف أيضا: المنهج الذي يتضمن عملية ضبط جميع العوامل الرئيسية التي تؤثر في المتغير أو المتغيرات التابعة في التجربة باستثناء عاملا واحدا يحدده الباحث ويضبط ظروفه ويغيره بصيغة معينة بغية تحديد وقياس تأثيره على المتغير أو المتغيرات التابعة.[2]

كما يعرف أيضا: إجراء منهجي يبدأ بملاحظة الواقع وفرض الفرضيات وإجراء التجارب للتأكد من صحة الفرضيات ثم الوصول إلى القوانين في العلاقات بين الظواهر.[3]

2. **مميزات المنهج التجريبي:** يتميز المنهج التجريبي بالخصائص التالية:

- يقوم الباحث في المنهج التجريبي بملاحظة الظاهرة في الواقع.
- يقوم الباحث بتحليل الظاهرة إلى عناصرها الأولية التي تتكون منها.
- يقوم الباحث بضبط المجموعة الضابطة و المجموعة التجريبية.
- يقوم الباحث بضبط وتحديد شروط العملية التجريبية.
- يستطيع الباحث في المنهج التجريبي القيام بتكرار الظاهرة.
- في متناول الباحث تغيير شروط التجريب.
- بإمكان الباحث عزل الظواهر المترابطة و المتداخلة.
- توفر الموضوعية: أي عدم تحيز الباحث في البحث.[4]

---

[1]– سامي ملحم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2000، ص 360.

[2]– جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيري كاظم: مناهج البحث التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2002، ص 94.

[3]– إخلاص محمد عبد الحفيظ، د مصطفى حسين سامي: طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية، ط1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، 2000، ص 102.

[4]– الهاشمي مقراني: التجريب في علم الاجتماع، في مرجع: د. فضيل دليو وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1999، ص 127، 128.

قبل التطرق إلى خطوات المنهج التجريبي و شرح المثال نحدد بعض المفاهيم المتداولة في البحوث التجريبية.

متغير مستقل – متغير تابع – متغير دخيل[1]

- **المتغير المستقل (المتغير التجريبي):**

هو العامل الأساسي المؤثر في الظاهرة موضوع الدراسة، فيقوم الباحث بإدخال تغيير عليه لمعرفة التأثير الذي يحدث في المتغير التابع، بمعنى أنه العامل الذي يسبب الظاهرة (السبب).

- **المتغير التابع (المعتمد):**

هو العنصر أو العامل أو الجانب أو الظاهرة موضوع المراد قياسه، فإذا كان للمتغير المستقل تأثير على التابع، فالنتيجة أن المتغير التابع الظاهرة المدروسة يتغير بتغير المتغير المستقل، يعني أنه العامل الذي يظهر كنتيجة لتأثيرات المتغير المستقل (النتيجة).

- **المتغير الدخيل:**

هو نوع من المتغيرات الضابطة التي يضعها الباحث في اعتباره لإدراكه بداية بتأثيرها المتداخل مع المتغير المستقل، فيقوم بعزلها أو عزل تأثيرها على المتغير المستقل.

المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة:

المجموعة التجريبية: هي التي تتعرض للمعالجة التجريبية.

المجموعة الضابطة: هي التي يتم تحديدها لأغراض القياس والمقارنة دون أن تتعرض للمعالجة التجريبية.

3. خطوات المنهج التجريبي :

يحدد عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات الخطوات في ست نقاط وهي كالتالي[2]:

- التعرف على مشكلة البحث وتحديد معالمها.

---

[1]– محمد عبد الحميد: البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط2، علم الكتب، القاهرة، مصر،2004، ص 25– 27.

[2] – عمار بوحوش، ومحمد محمود الذنيبات: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1999، ص ص 120، 121.

- صياغة الفرضية أو الفرضيات.
- وضع تصميم تجريبي: اختيار العينة، تصنيف المفحوصين في مجموعات متجانسة، تحديد الوسائل الخاصة بقياس نتائج التجربة والتأكد من صحتها.
- القيام بالتجربة المطلوبة .
- تنظيم البيانات وتحديدها.
- تطبيق اختيار دلالة مناسب لتحديد مدى الثقة في نتائج التجربة والدراسة.

لا بد من الإشارة إن احترام الخطوات السالفة الذكر غير كاف لوحده لأن الدراسات التجريبية يتوقف نجاحها كما يقول **أحمد بن مرسلي** إلى حد كبير على كفاءة الباحث و قدرته على التحكم السليم في متغيرات دراسته، من خلال التحكم في تأثير العوامل المتداخلة في الظواهر المبحوثة حتى يتسنى له قياس التأثير الذي يحدثه المتغير التجريبي محل القياس وكذا أن يكون اختيار أفراد المجموعات التجريبية متكافئا أي أن يحرص الباحث على تماثلهم التام من حيث العوامل التي هي متغيرات متداخلة.[1]

في منهج التجريبي ينطلق البحث من فكرة أو ظاهرة معينة تصاغ في شكل فرض محدد يقوم الباحث بإثباته أو نفيه.

مثال: موضوع البحث يتعلق بدراسة تأثير الإشهار التلفزيوني على الأطفال. بإتباع الخطوات الست السابقة الذكر فإنه يكون على الباحث القيام بما يلي:

1- **تحديد معالم مشكلة البحث:** ما مدى إقبال الأطفال على شراء السلع التي تكون محل إشهار تلفزيوني؟

2- **صياغة الفرضية:** " الأطفال يقبلون على شراء السلع التي يشاهدونهافي الومضات الإشهارية في التلفزيون حتى ولم يكونوا في حاجة إليها".

من هذه الفرضية يستخرج الباحث أن عليه إجراء التجربة على مجموعة من الأطفال يعرض عليها أفلام و رسوم متحركة تتخللها ومضات إشهارية لسلع معينة (أقلام، محافظ لعب....) ثم يصطحبهم إلى

---

[1]– أحمد بن مرسلي: مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعلت الجامعية، الجزائر، ص 315، 316.

محلات تجارية توجد بها هذه السلع ليلاحظ إن كان الأطفال يعطون عناية لهذه السلع و رغبة في اقتنائها أم لا.

3- **الإعداد الدقيق لكل خطوة:** اختيار العينة والتي تكون على شكل مجموعة متماثلة من حيث العوامل المتداخلة (عدد الإخوة والأخوات في البيت، موقع الطفل بين إخوته، الحالة المادية للوالدين ومستواهم التعليمين، الحي الذي يعيش فيه (الوسط الخ....) تحديد مجموعة التجريب ومجموعة الضبط، تحضير الوسائل اللازمة لإجراء التجربة (أفلام، جهاز تلفزيون، القاعة).

4- يقوم الباحث بالتجربة بحيث يعرض على مجموعة التجريب (أ) الأفلام والأشرطة التي تحتوي على الومضات الإشهارية، ويعرض على مجموعة الضبط (ب) نفس الأفلام والأشرطة لكن بدون ومضات إشهارية، بعد ذلك يصطحب المجموعتين كلاهما على حدى إلى نفس المحلات التجارية لملاحظة تصرفات كل مجموعة تجاه السلع المعروضة.

5- يسجل كل الملاحظات في شكل بيانات ونسب مئوية.

6- يستطيع تكرار نفس التجربة أكثر من مرة للتأكد من نتائج الدراسة.

4. أنواع التصميمات التجريبية: متعددة أهمها:[1]

أ- **التجربة على مجموعة واحدة:** حيث يدخل الباحث المتغير المستقل(التجريبي) عليها ثم يقيس التغير على المتغير التابع، **مثال**" أثر القراءة اليوميةللصحافة على التحصيل الدراسي لدى طلبة الإعلام "

ننطلق من هذا المثال من فرضية أن المداومة على قراءة الجرائد تؤثر إيجابا على مستوى التحصيل الدراسي.

للقيام بالدراسة يأخذ الباحث مجموعة من الطلبة، ويقيس درجة تحصيلهم الدراسي خلال فترة زمنية معينة (سداسي أو سنة) يرضخهم للتجربة بحيث يوفر لهم الجرائد اليومية ويدعوهم لقراءتها، وبعد فترة زمنية (سداسي أو سنة) يعيد قياس درجة التحصيل الدراسي لدى نفس المجموعة، ويقارن بين نتائج القياس الأول ونتائج القياس الثاني ليرى إذ كان المتغير المستقل (إدخال عنصر الصحف اليومية) أثر إيجابيا أو سلبيا أو لم يؤثر، وبالتالي نستنتج أن المتغير التجريبي أحدث تغييرا إيجابيا أو سلبيا أو أنه لم يحدث تغيير.

---

[1]– رشيد زرداتي: مناهج أدوات البحث الاجتماعي في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 141-142.

ب- التجربة على مجموعتين متكافئتين: حيث يختارالباحث مجموعتين متشابهتين إلى أقصى درجة ممكنة، تعتبر الأولى مجموعة التجريب فيدخل عليها المتغير المستقل (التجريبي) ثم يقارن بين هذه المجموعة والمجموعة الأخرى (الضابطة) التي لم يدخل عليها المتغير المستقل ليسجل التغييرات التي يكون قد أحدثها المتغير المستقل على مجموعة التجريب، إذا طبقنا المثال السابق فإن الباحث يأخذ مجموعة من الطلبة من نفس السنة يقسمهم إلى مجموعتين يطبق على المجموعة الأولى نفس الخطوات التي ذكرناها في المثال السابق بينما يكتفي بقياس درجة التحصيل الدراسي بالنسبة للمجموعة الثانية دون أن يدخل عليها أي متغير، وبعد الفترة الزمنية المحددة للتجريب يعيد قياس التحصيل الدراسي للمجموعتين ويقارن بينهما.

وكخلاصة يمكن القول أنه يصعب تطبيق الدراسات التجريبية في علوم الإعلام والاتصال وذلك راجع إلى:[1]

- **تعقد الظاهرة الاتصالية** : لأنها تتناول ظواهر مرتبطة بنشاط الإنسان وحركة المجتمع وبالتالي تعدد العوامل المتحكمة في هذه الظواهر وتتشعب لدرجة يصعب العثور على العوامل المؤثرة في الظاهرة في الأبحاث السببية.
- تعدد المتغيرات المؤثرة على الظاهرة.
- صعوبة عزل المتغيرات الدخيلة.
- التغير تتسم الظاهرة بعدم الثبات مما يؤدي إلى عدم تعميم النتائج وصعوبة تكرار التجربة.

يمكن أن نستنتج في الأخير من خلال موضوع البحوث الإعلامية أنواعها ومناهجها ما يلي:

- تتجه الدراسات المسحية إلى توضيح الطبيعة الحقيقية للأشياء أو المشكلات أو الأوضاع الاجتماعية، وتحليل تلك الأوضاع للوقوف على الظروف المحيطة بها أو الأسباب الدافعة إلى ظهورها.
- ويختلف المسح عن البحث التاريخي من حيث عامل الزمن فالأخير يهتم بالماضي في حين الأول يهتم بالحاضر.

[1]- د. محمد منير حجاب: المرجع السابق، ص 100.

- ويتميز المسح عن التجريب بالهدف من كل منهما فمسح الظاهرة يقرر وصفها ولا يبين أسبابها مباشرة.
- ويختلف المسح عن دراسة الحالة بالعمق والسعة فدراسة الحالة أعمق والمسح أوسع، إن المسح يزود الباحث بمعلومات تمكن من التعليل والتفسير واتخاذ القرارات ويكشف عن العلاقات ثم أن المسح يجرى على الطبيعة، وليس في ظروف مخبريه[1].

[1]– المرجع نفسه، ص 86.